

علم البديع عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

The Science of Rhetoric at Shaykh Muḥammad ibn ‘Abd al-Karīm al-Maghīlī

د- فاطمة برماتي^{*1}¹جامعة أدرار (الجزائر)، f.bermati@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/03/30

تاريخ المراجعة: 2022/03/06

تاريخ الإيداع: 2022/02/15

ملخص:

إن الحديث عن إسهامات العلماء الجزائريين القدامى في مجال اللغة بصفة عامة، والبلاغة بصفة أخص يقتضي منا تحديد المدونات القديمة المهتمة بالبلاغة، تم تبيان حقيقة تلك الإسهامات بالدراسة والتحليل، ومنه وقع اختيارنا على أحد الأعلام الجزائريين البلاغيين الذين كان لهم باع كبير في هذا المجال؛ ومنهم الإمام المفسر، الفقيه، اللغوي، الأديب، القاضي العلامة الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي معالم علم البديع، وهو يعد سببا أساسيا في اختيارنا لهذا الموضوع؛ وذلك أن جل الدراسات التي توقفنا عندها حولها اهتمت بالجانب الأدبي، أو الفقهي.

الكلمات المفتاحية: البلاغة - البديع - المغيلي - البيان.

Abstract:

Speaking of the contributions of ancient Algerian scholars in the field of language in general, and rhetoric in particular, requires us to identify the old corpora interested in rhetoric. We are going to illustrate these contributions through study and analysis. Our choice fell on one of the prominent Algerian scholars in rhetoric who had great contributions in this field, imam, linguist and jurist Shaykh Muḥammad ibn ‘Abd al-Karīm al-Maghīlī. The reason for the choice of this topics lies in the fact that most of the previous studies focused on the literary and jurisprudence aspects.

Key words: Rhetoric, Exquisite, al-Maghīlī, Evidence.

* المؤلف المراسل.

وإن الحديث عن مضامين الدرس البلاغي عند أحد أعلام المغرب العربي، وبالضبط عند العالم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، يتطلب منا إبراز إسهاماته الرائدة في مجال الدرس البلاغي العربي، لينضم إلى قائمة علماء العربية المهتمين بالبلاغة؛ كالجرجاني، والسكاكي، والجاحظ، والباقلاني وغيرهم من أعلام العربية البلاغيين.

وأن المدونة التي قمنا بدراستها لأجل تأكيد الإسهامات البلاغية للشيخ، وخصوصا في علم البديع، هي مدونة كتابه "شرح التبيان في علم البيان".

أولاً-كتاب "شرح التبيان في علم البيان" وسبب تأليفه:

إن المغيلي يكون قد بادر بهذا التأليف لتقريب قواعد اللغة العربية للطلبة المبتدئين، ولأجل هذا سماها مقدمة، وقد يكون عمله هذا شبيها بعمل ابن آجروم صاحب المقدمة في علم اللغة العربية المشهورة باسم "الاجرومية في قواعد علم اللغة العربية".

لكن يعكر صفو هذا التحليل أن علم العربية لا يعني علم النحو وحده فقد يعني به علوم البلاغة المشتمل على ثلاثة فنون: المعاني، البيان، والبديع؛ ويكون الشيخ المغيلي قد وضع مقدمة في هذا النوع من علوم اللغة.

وعند صدور كتاب باسم "شرح التبيان في علم البيان" لم يصف المترجمون للشيخ هذا العنوان، بل أضافوا له كتاب: "مقدمة في العربية". وكان هناك احتمال آخر كون مقدمة في العربية هو مقدمة في علم النحو، وأن هذا الاحتمال قد زال، وبقي القول الراجح أن كتاب "مقدمة في العربية" ما هو إلا مقدمة في علم البيان حسب عبد القادر باجي.¹

وأما عن قيمة الكتاب، فهو يعد لبنة جديدة تضاف إلى ما كتبه البلاغيون في هذا الفن عامة، وإلى ما كتبه الجرجانيون ومنهم أهل توات على وجه الخصوص؛ فإلى جانب كتاب أسرار البلاغة للجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، وتلخيص المفتاح والإيضاح في علوم البلاغة كلاهما للخطيب القزويني، توالى الشروح والحواشي والملخصات والمختصرات. فكان الشيخ المغيلي متما لهذا الصرح البلاغي.

ثانياً-منهجه في الكتاب:

أضف إلى ذلك، أن هذا التأليف يفيدنا في الوقوف على مدى قدرة الشيخ المغيلي من أخذه بناصية هذا العلم، وبراعته فيه، بالإضافة إلى معرفة منهجيته في التأليف والإحاطة بهذا العلم. فهو تأليف لا يستغني عنه عالم بلاغة أو طالب في التخصص لأجل الأخذ منه والمقارنة بينه وبين أعمال سابقيه.²

وأما من حيث محتوياته، فنجد أنه يشمل خطة منهجية محكمة شأنه في شأن الدارسين محدثين والمعاصرين في تأليفهم؛ فقد ابتدأ بمقدمة ذكر فيها سبب التأليف واسم الكتاب، ثم قبل دخوله في صلب الموضوع حاول أن يبسط العلاقة بين الفصاحة والبلاغة، وشأنه في ذلك شأن البلاغيين القدامى الذين ساروا على هذا النهج. ثم تناوله البلاغة من زواياها الثلاث المعروفة: المعاني، والبيان، والبديع.

وأما من حيث منهجيته في التأليف فإنه يستعمل ألفاظاً بلاغية سهلة على الدارسين ومختصرة، بالإضافة إلى حمولة كتابه لشواهد قرآنية، وأحاديث نبوية شريفة، وأبيات شعرية كثيرة، مما يعكس على ثقافة الشيخ المغيلي الواسعة، وإلمامه بالجوانب المتعلقة بهذا العلم، أضف إلى ذلك الأقوال والأمثلة النحوية المتنوعة التي وُظفت أيما توظيف وفي مواطن مختلفة ليدعم بها الرأي؛ وهذا ناتج بالطبع عن تداخل علم النحو مع علم البلاغة.

ثالثاً- مفهوم علم البديع:

وإذا أردنا بسط مفهومه فنجد من حيث اللغة: المخترع الموجد على غير مثال سابق، فهو اسم مفعول من فعيل بمعنى مفعول. ويقول ابن منظور فيه: "بَدَعَ الشيءَ يَبْدَعُهُ بَدْعاً وَابْتَدَعَهُ أَنْشَأَهُ وَبَدَأَهُ، وَبَدَعَ الرَّكْبَةَ اسْتَنْبَطَهَا وَأَحْدَثَهَا...وَالْبَدِيعُ وَالْبِدْعُ الشيء الذي يكون أولاً...وَالْبِدْعَةُ الْحَدَثُ وما ابْتَدِعَ من الدِّينِ بعد الإكمال...وَابْتَدَعَهُ عَدَّهُ بَدِيعاً وَالْبَدِيعُ الْمُحْدَثُ الْعَجِيبُ وَالْبَدِيعُ الْمُبْدِعُ وَابْدَعْتُ الشيءَ اخْتَرَعْتَهُ لا على مثال وَالْبَدِيعُ من أسماء الله تعالى لِإِبْدَاعِهِ الْأَشْيَاءَ وَإِحْدَاثِهِ إِيَّاهَا وهو البديع الأول قبل كل شيء ويجوز أن يكون بمعنى مُبْدِعٍ أو يكون من بَدَعَ الْخَلْقَ أَي بَدَأَهُ... فَبَدِيعٌ فَعِيلٌ بمعنى فاعل مثل قدير بمعنى قادر"³.

وأما من حيث المفهوم الاصطلاحي فنجد القزويني يقول فيه: "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيق على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة"⁴.

ويأتي الشيخ المغيلي شارحاً لآراء البلاغيين في علم البديع، ومنهم الرأي السابق للقزويني، فيقول الشيخ قائلاً: "إشارة إلى أن هذه الوجوه لا تسمى محسنة إلا إذا حصلت بعد ذلك، فلو حصلت من غير رعاية ذلك لكانت كجوهرة في رقبة قردة"⁵؛ فهو إذن علم تبحث فيه وجوه تفيد الحسن في الكم بعد رعاية المطابقة لمقتضى المقام ووضوح الدلالة على المرام، وأنه يفيد في إظهار رونق الكلام حتى يلج الأذن بغير إذن، ويتعلق بالقلب من غير كد⁶.

وإذا كانت الأشكال التعبيرية التي هي من فنون البديع، والتي يتم اختيارها انطلاقاً مما لها من أهمية ردود في زيادة بلاغة الكلام، فإن تحسين الكلام يكون إما من جهة العناية بجانب المعنى، وهو ما ينعت بالمحسنات المعنوية، أو من جهة اللفظ، وهو ما ينعت بالمحسنات اللفظية. وإذا كانت العناية بالمعنى هو المقصود تركز اهتمام المتكلم واختياره على المعنى من حيث التناسب أو التضاد أو غير ذلك من الخصائص على مستوى المعنى. وإذا كانت العناية باللفظ هو المقصود تركز اهتمام المتكلم واختياره على طبيعة الألفاظ في شكلها وبنيتها وما بين حروفها وحركاتها من التجانس أو التقارب وما إلى ذلك مما يكون على مستوى اللفظ⁷.

وإذا اطلعنا على آراء الشيخ المغيلي في هذا المجال، فإننا نجده قد اقتفى أثر البلاغيين في ذلك؛ حيث إن علم البديع عنده يشمل المحسنات المعنوية واللفظية، والتي نجدها في الآتي:

رابعاً- أقسام علم البديع:

1-4- المحسنات المعنوية:

بدأ الشيخ المغيلي بالمحسنات المعنوية لأن الغرض الأهم والقصد الأصلي هو الوقوف على المعنى أو الدلالة. فهو من أنصار المعاني لا من أنصار الألفاظ، شأنه في ذلك شأن البلاغيين الذين ساروا على هذا النهج كعبد القاهر الجرجاني.

إن فروع هذا النوع من المحسنات عند الشيخ المغيلي كثيرة ومتنوعة وصلت إلى ثلاثين فرعاً، سنحاول الوقوف عند البعض منها للاختصار، ومنها:

1- المطابقة:

وتسمى الطباق، والتطبيق، والتكافؤ. وهي الجمع بين معنيين بينهما تقابل في الجملة؛ أي يكون بينهما تقال وتناف ولو في بعض الصور. سواء أكان التقابل حقيقياً أم اعتبارياً، وسواء أكان تقابل التضاد كالبياض والسود، أم تقابل الإيجاب والسلب.⁸

أما المطابقة فهي تنقسم إلى قسمين:

أ- مطابقة الإيجاب:

هي ما صرح فيها بإظهار الضدين، أو هي ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً.⁹ وهي حسب الشيخ المغيلي أربعة أنواع نجدها كالاتي¹⁰:

أ-1- بين اسمين: كقوله تعالى: [وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ]¹¹.

أ-2- بين فعلين: نحو قوله تعالى: [يُحْيِي وَيُمِيتُ]¹².

أ-3- بين حرفين: نحو قوله أيضاً: [لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ]¹³؛ فإن في "اللام" معنى الانتفاع، وفي "على" معنى التضرر.

أ-4- بين اسم وفعل: كقوله تعالى: [أَوْ مَنْ كَانَ مِيتاً فَأَحْيَيْنَاهُ]¹⁴؛ فإن بين الموت والإحياء تقابلاً في الجملة.

وبالتالي فإن هذا النوع لا يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً.

ب- مطابقة السلب:

هو ما لم يصرح فيه بإظهار الضدين، أو هي ما اختلف فيها الضدان إيجاباً وسلباً¹⁵ أو هي -حسب الشيخ المغيلي- أن تجمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي؛ كقوله تعالى: [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]¹⁶.

أو أحدهما أمر والآخر نهي، وذلك كقوله تعالى: [فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي]¹⁷.

وبالتالي فإن هذا النوع من المطابقة تؤدي فيه الكلمة نفسها، تارة مثبتة وتارة منفية بالأداة ولغرض دلالي مقصود.

ومن خلال ذلك يتضح إن من جماليات الطباق أنه يضفي رونقا على المعنى، وحتى يكون له أثر في النفس يشترط في الكلمتين المتضادتين أن تكونا متقابلتين في الجملة، فإذا تباعدتا في الموقع تباعدتا في المعنى كذلك. فلم تتقابلا ولم يعد بينهما اتصال، وبالتالي لا طباق بينهما عندئذ¹⁸.

2-مراعاة النظير:

وتسمى عند أصحاب البديع التناسب والإتلاف والتوقيف والمؤاخذة أيضا¹⁹، وزاد بعضهم حسب الشيخ المغيلي "تشابه الأطراف"؛ وهو أن ينتهي الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى²⁰. كقوله تعالى: [لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ]²¹؛ فإن اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب ما لا يدرك شيئا، فإن من يدرك شيئا يكون خبيرا به²².

ومن شواهد مراعاة النظير التي يجمع فيها بين الأمر وما يناسبه لا على وجه التضاد حسب الشيخ المغيلي هو قول الشاعر ابن رشيق في مدح الأمير تميم:

أَصَحُّ وَأَقْوَى مَا سَمِعْنَاهُ فِي النَّدَى # مَنِ الْخَبَرِ الْمَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ

أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السُّيُولُ عَنِ الْحَيَا # عَنِ الْبَحْرِ عَنْ كَفِّ الْأَمِيرِ تَمِيمِ.

وذلك أن الشاعر قد ناسب بين الصحة والقوة والسماع والخبر المأثور، والأحاديث والرواية، ثم ناسب - أيضا- بين السبيل والحيا والبحر وكف الأمير تميم²³.

ومما يلحق بمراعاة النظير إيهام التناسب، الحاصل من الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان وإن لم يكونا مقصودين²⁴، ومن ذلك ما يستشهد به الشيخ المغيلي في قوله تعالى: [الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ]²⁵؛ فالنجم هنا بمعنى النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول، وإن لم يكن مناسبا للشمس والقمر، فقد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما، فحصل إيهام التناسب من جهة الظاهر²⁶، أو من جهة اللفظ لا من جهة المعنى أو الدلالة.

3-التورية:

هي إتيان بلفظ له معنيان؛ أحدهما قريب غير مقصود، وأن دلالة اللفظ عليه واضحة، والثاني بعيد مقصود، ودلالة اللفظ عليه خفية، فيتوهم السامع أنه يريد المعنى القريب، وهو إنما يريد المعنى البعيد بقرينة تشير إليه²⁷، وتسمى عند البلاغيين التورية والإيهام والتوجيه والتخيير²⁸، وفي ذلك يقول الشيخ المغيلي: "وتسمى بالإيهام أيضا، وهي أن يُؤتى بلفظ له معنيان: بعيد وقريب، ومراد به البعيد اعتمادا على قرينة خفية. فإن جمعت شيئا يلائم المعنى القريب فمرشحة، وإلا فمجردة"²⁹.

فهذا عن مفهومها وأقسامها. فهي قسمان عند الشيخ المغيلي نجدها كالاتي:

أ- التورية المجردة:

وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المعنى القريب³⁰ نحو قوله تعالى: [الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى]³¹؛ فذلك أن الاستواء يحمل الاستيلاء، ولكن المقصود من خلال النص القرآني هو الاستيلاء أو الملك لا الاستقرار في المكان الذي هو بمثابة المعنى القريب، حيث يقول الشيخ المغيلي: "إذ المرادُ به معناه البعيد، وهو الاستيلاء، ولم تقرر بما يلائم المعنى القريب الذي هو الاستقرار"³².

ب- التورية المرشحة:

هي التي يذكر فيها لازم المورّى به³³، وهو المعنى القريب، وسميت مرشحة لتقويتها بذكر لازم المورّى به وذلك في مثل قوله تعالى: [وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ]³⁴؛ حيث يقول الشيخ المغيلي: "إذ المراد بالأيد: القدرة، وقد جمعت شيئاً يلائم معناها القريب الذي هو الجارحة المخصوصة، وهو قوله تعالى: [بَنَيْنَاهَا]"³⁵.

وهنا تم ذكر لازم المورّى به، عكس التورية المجردة التي لا يذكر فيها لازم المورّى به، وبالتالي يتم تدخل القرينة اللازمة لإيضاح المقصود من سياق الكلام، ولا يمكن أن يكشف عنها إلا المتمرس في الجانب اللغوي بصفة عامة، وفي الجانب البلاغي بصفة أخص. وأحسب أن الشيخ المغيلي من أولئك العلماء اللغويين البلاغيين المتضلعين في خدمة اللغة، المتمرسين في كشف خباياها وفك شفراتها.

4- تأكيد المدح بما يشبه الذم:

إن أول من فطن إلى هذا النوع من البديع المعنوي عبد الله بن المعتز، فقد عده من محاسن الكلام، وسماه "تأكيد المدح بما يشبه الذم"³⁶.

ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم أن يؤتى -حسب الشيخ المغيلي- بمستثنى فيه معنى المدح معمولاً لفعل فيه معنى الذم، والاستدراك في هذا القلب كالاستثناء³⁷، وهذا النوع يأتي على ضربين هما:

الأول: أن يروى بصفة ذم منفية ثم يستثنى من صفة مدح بتقدير دخولها في صفة الذم كقول النابغة الذبياني³⁸:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ # يَهْنُ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

فالنابغة نفى أولاً عن ممدوحيه صفة العيب، ثم عاد فأثبت لهم بالاستثناء عيباً هو أن سيوفهم يهين فلول من قراع الكتائب، وبالتالي فهي صفة مدح أثبتها الشاعر لممدوحيه وأكدها بما يشبه الذم³⁹. فهذا عن الضرب الأول.

وأما الضرب الثاني فهو أن يُثبت لشيء صفة مدح وتُعقب بأداة استثناء تاليها صفة مدح أخرى؛ وذلك في قول P: [أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ، بَيِّدَ أَيْ مِنْ قُرَيْشٍ]⁴⁰؛ أي غير أني من قريش.

إلا أن الضرب الأول حسب الشيخ المغيلي أبلغ وأجمل من الضرب الثاني لإفادته التأكيد⁴¹.

وهناك ضرب آخر يندرج ضمن تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهو أن يؤتى بالاستثناء المفرغ⁴² كقوله تعالى: [وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا]⁴³، والقصد من ذلك حسب الشيخ المغيلي؛ أي "ما تعيبُ مِنَّا إِلَّا أصلُ المفاخر كُلِّهَا، وهو الإيمان بآيات الله تعالى"⁴⁴.

5 - تأكيد الذم بما يشبه المدح:

وهذا النوع عكس الذي سبقه، وهو على ضربين حسب الشيخ المغيلي⁴⁵:

الأول: وهو أن يستثنى من صفة مدح منفية عن شيء بصفة ذم بتقدير دخولها في صفة المدح؛ كقولنا: فلان لا خير فيه إلا أنه سييء إلى من أحسن إليه.

والثاني: وهو أن يثبت لشيء صفة ذم وتُعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له، وذلك كقول القائل: "فلان فاسق إلا أنه جاهل".

ومن خلال ذلك، يرى الشيخ المغيلي أن الضرب الأول أبلغ وأجمل من الضرب الثاني لإفادته التوكيد من وجهين. وأنه يأتي منه -أيضاً- الاستثناء المفرغ كقولنا: فلان لا يستحسن منه إلا جهله. كما أن الاستدراك فيه

كالاستثناء⁴⁶؛ أي أن أداة الاستدراك "لكن" تفيد فيه معنى الاستثناء، والكلام نفسه يقاس على تأكيد المدح بما يشبه الذم.

4-2- المحسنات اللفظية:

ومن القضايا البلاغية التي لها صلة بهذا الجانب عند الشيخ المغيلي نجد:

1- الجناس:

هو أن يتشابه لفظان في النطق ويختلفان في المعنى، ويقال له: التجنيس، والتجانس، والمجانسة، وهو زينة لفظية بديعة تجذب السامع إلى ما يقصده المتكلم⁴⁷.

ولذلك يقول الشيخ المغيلي: "منه الجناس بين اللفظين، وهو تشابههما في التلفظ. والتام منه كزئهما متفقين في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها"⁴⁸؛ أي نتيجة حدوث اتفاق في اللفظ وتغير في المعنى. إلا أن الشيخ المغيلي قسم الجناس إلى قسمين، تام وناقص.

أ- التام:

وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء: هيئة الحروف؛ أي حركاتها وسكناتها، وعددها، ونوعها، وترتيبها. ومن هذا النوع من الجناس نجد:

أ-1 الجناس المماثل: وهو ما كان اللفظان فيه من نوع واحد اسمين أو فعلين أو حرفين كقوله تعالى: [وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ]⁴⁹؛ فالساعة الأولى يوم القيامة والثانية واحدة الساعات⁵⁰. فالجناس المماثل عند الشيخ المغيلي إذن هو أن يكون كل من اللفظين المتداخلين اسماً أو فعلاً أو حرفاً⁵¹.
أ-2 الجناس المُستَوْفَى: وهو أن يكون اللفظان من نوعين؛ اسم وفعل أو اسم وحرف، أو فعل وحرف كقول أبي تمام⁵²:

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ # يَحْيَى لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

ب- الناقص:

وهو غير التام، وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأربعة السابقة في الجناس التام؛ فإن اختلف في هيئة الحروف فقط، سُمِّيَ "مُحَرَفًا" حسب الشيخ المغيلي لانحراف هيئة أحد الطرفين عن هيئة الآخر؛ كالبرد بضم الباء، والبرد بفتحها.

وأما اختلاف حروف المتجانسين في العدد نحو: جَدِّي جَهْدِي. وكذلك اختلاف حروف المتجانسين في الترتيب فقط، ويُسمى "تجنيس القلب"، لكن إن انعكست الحروف كلها على الترتيب سُمِّيَ "قلب الكل" نحو: حُسَامُهُ فَتَحَ لِأَوْلِيَائِهِ، حَتَفَ لِأَعْدَائِهِ. وَإِلَّا سُمِّيَ قلب البعض نحو: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا⁵³. فهذا عن بعض ما يتعلق بالجناس وأقسامه.

2- السجع:

هو توافق الفاصلتين في النثر على حرف واحد⁵⁴ حسب الشيخ المغيلي، وهو ينقسم حسبته إلى ثلاثة

أقسام:

أ- المطرّف:

وهو ما اختلف فيه فاصلتان في الوزن⁵⁵ نحو قوله تعالى: [مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ

أَطْوَارًا]⁵⁶؛ فيرى الشيخ المغيلي أن الفاصلتين "وقارا" و"أطوارا" مختلفتان في وزنهما⁵⁷.

ب- الترصيع:

وهو الي تتفق فيه الكلمات في عبارتين أو أكثر في الوزن وفي التقفية⁵⁸، فيرى الشيخ المغيلي في قول الحريري واصفا أحد البلغاء بأنه: "يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه"، وأن كل ما في القرينة الثانية له مقابل من القرينة الأولى، وإن انفرد هو من غير مقابلة لأن الحكم للأكثر، فلا يلزم أن تحصل المقابلة في الكل، بل في الكل أو أكثر بحيث لو قال: "فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه"⁵⁹ لكان من متطلبات الترصيع أيضا.

ج- المتوازي:

وهو ما اتفق فيه الفقرتان في الوزن والتقفية⁶⁰ أو هو ما لم يكن ما في إحدى القرينتين ولا أكثر مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية⁶¹ حسب الشيخ المغيلي، وذلك في مثل قوله تعالى: [فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ]⁶²؛ لاختلاف سرر، وأكواب، وزنا وقافية. وكذلك في قوله تعالى: [ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا]⁶³ لاختلاف المرسلات والعاصفات وزنا فقط.

ولكن من خلال ذلك يرى الشيخ المغيلي أن أحسن السجع هو ما استوت قرائنه نحو: [فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ، وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ]⁶⁴، فهذا في المرتبة الأولى. ثم يليه في المرتبة الثانية؛ أي في الحسن ما كانت القرينة المؤخرة فيه أطول طولاً لا يُخرجه عن الاعتدال نحو قوله تعالى: [وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى]⁶⁵.

وبالإضافة إلى ذلك كله، يرى الشيخ المغيلي أنه كلما كانت الفواصل قصيرة كلما ازداد السجع حسناً⁶⁶ وجمالاً ورونقاً وبلاغةً.

فهذا جانب من المحسنات اللفظية⁶⁷ حاولنا الوقوف عنده بشيء من الإيجاز باعتبار أن الشيخ المغيلي توسع في المحسنات اللفظية أيما توسّع، فمخافة الإطالة ابتغيها الإيجاز.

خامساً- خاتمة:

- إن قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى اشتغل بها الكثير من علماء العربية؛ سواء أكانوا لغويين، أم مفسرين، أم أصوليين.

- إن الاهتمام بالجانب البلاغي لم يكن من اهتمام المشاركة فحسب، وإنما كان أيضا من اهتمامات المغاربة، وبالتحديد عند العماء الجزائريين أمثال الشيخ المغيلي.

- يعد الشيخ المغيلي من العلماء التراثيين الجزائريين الذين أثروا الساحة العربية والإفريقية بمؤلفاتهم القيمة المختلفة المعارف والعلوم.

- يعد كتاب شرح التبيان إضافة نوعية إلى الكتب البلاغية التعليمية؛ فصاحبه يهدف إلى تعليم أساليب وضروب البلاغة للناشئة وبأسلوب وجيز بسيط، لأجل تقريب المعاني البعيدة للمتلقي.

- إن الشيخ المغيلي يبحث في قضية مقاصد الخطاب، وإذا كانت الفصاحة في الألفاظ، والبلاغة في المعاني، فإنه أولى أهمية بالغة لعلاقة اللفظ والمعنى، أو الدال والمدلول، وبالتالي فهو يعد من أنصار المعاني لا من أنصار الألفاظ.

- إن المطلع على الكتاب يجد أن الشيخ المغيلي قد مزج فيه بين النحو والبلاغة، وذلك دأب البعض من البلاغيين كعبد القاهر الجرجاني، والسكاكي، والزمخشري، وهذا يدل دلالة واضحة على العلاقة الوطيدة بين البلاغة والعلوم اللغوية؛ ومنها علم النحو وعلم الدلالة. وأنه أعطى أهمية كبيرة لدور السياق في الكشف عن المعاني المقصودة، وهذه ميزة القدامى في اهتمامه بقطبي الفعل الدلالي؛ الدال والمدلول.

- إن كتاب الشيخ المغيلي البلاغي يعد إنتاجا نوعيا في مجال البلاغة، بل إنه يُضاف وبكل جدارة إلى رصيد التراث البلاغي العربي عامة، وإلى التراث البلاغي الجزائري خاصة.

- إن كتاب شرح التبيان يتميز بحمولة معرفية بلاغية، غرفت من مناهل الكتب التراثية البلاغية لأعلام عُرِفوا بإسهاماتهم في هذا المجال؛ وذلك كتلخيص المفتاح والإيضاح للقزويني، ومفتاح العلوم للسكاكي، والكشاف للزمخشري، ومختصر تلخيص المفتاح للتفتازاني.

- إن الشيخ المغيلي لم يخرج في دراسته للبلاغة عن نهج القدامى خصوصا في باب علم البديع، وإنما يتضح جهده أكثر في منهجه التعليقي البسيط، وفي توظيفه الموسع للنصوص القرآنية والنبوية الشريفة، وكذا الشعر العربي القديم.

سادساً- قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم، برواية الإمام حفص عن الإمام عاصم.

1- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين بن هشام الأنصاري، ابن مالك، دار الجيل، بيروت، ط5، 1979م.

2- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، شرح وتعليق وتنقيح، د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3، د.ت.

3- الإمام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، عبد القادر باجي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م.

4- الجامع في علوم البلاغة، د. محمد ألتونجي، دار العزة والكرامة للكتاب، ط1، 1433هـ-2000م.

5- جواهر البلاغة، سيد أحمد الهاشمي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1421هـ-2000م.

- 6- ديوان النابغة الذبياني، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط 1976.
- 7- كتاب البديع، أبو العباس عبد الله بن المعتز، شرحه وحققه عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 1، 1422هـ-2001م.
- 8- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط 1، وأساس البلاغة، جار الله الزمخشري، ص 50، دار الفكر، 1399هـ-1979م.
- 9- علم البديع، د.عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، ط 1424هـ - 2004م.
- 10- علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1426هـ-2005م.
- 11- علم المعاني-البيان-البديع، د.عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- 12- فنون البلاغة العربية، د.عبد العليم بوفاتح، مطبعة بن سالم الأغواط، ط 1، 1430هـ-2009م.
- 13- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- 14- شرح التبيان في علم البيان، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، دراسة وتحقيق: د.أبو أزهر بلخير هادم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2010م.

هوامش وإحالات المقال

- ¹- هناك من يعد كتاب مقدمة في العربية هو نفسه التبيان في علم البيان، وهناك من يعد كتاب مقدمة في العربية مستقلاً بنفسه، وكتاب التبيان مستقلاً بنفسه هو الآخر، ينظر في هذا الخلاف الإمام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، عبد القادر باجي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م، 203/2، وشرح التبيان في علم البيان، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، دراسة وتحقيق: د. أبو أزهر بلخير هادم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص47.
- ²- ينظر الإمام المغيلي عصره وحياته، 206/2.
- ³- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط1، وأساس البلاغة، جار الله الزمخشري، ص50، دار الفكر، 1399هـ-1979م. مادة (بدع)، 6/8.
- ⁴- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، شرح وتعليق وتنقيح، د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3، د.ت، 04/6.
- ⁵- شرح التبيان في علم البيان، ص308.
- ⁶- ينظر الجامع في علوم البلاغة، د. محمد ألتونجي، دار العزة والكرامة للكتاب، ط1، 1433هـ-2000م، ص197.
- ⁷- ينظر فنون البلاغة العربية، ص272.
- ⁸- شرح التبيان في علم البيان، ص310.
- ⁹- علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، ط1424هـ-2004م، ص61.
- ¹⁰- شرح التبيان، ص310.
- ¹¹- سورة الكهف، الآية 18.
- ¹²- سورة البقرة، الآية 258.
- ¹³- السورة نفسها، الآية 286.
- ¹⁴- سورة الأنعام، الآية 122.
- ¹⁵- علم البديع، ص62.
- ¹⁶- سورة الروم، الآيتان 6-7.
- ¹⁷- سورة المائدة، الآية 44.
- ¹⁸- ينظر فنون البلاغة العربية، د. عبد العليم بوفاتح، مطبعة بن سالم الأغواط، ط1، 1430هـ-2009م، ص276.
- ¹⁹- علم البديع، ص138.
- ²⁰- شرح التبيان، ص315.
- ²¹- سورة الأنعام، الآية 103.
- ²²- علم البديع، ص139.
- ²³- ينظر شرح التبيان، ص315-316.
- ²⁴- ينظر علم البديع، ص140.
- ²⁵- سورة الرحمن، الآيتان، 5-6.
- ²⁶- ينظر شرح التبيان، ص316..
- ²⁷- الجامع في علوم البلاغة، ص208.
- ²⁸- علم البديع، ص94.
- ²⁹- شرح التبيان، ص323.
- ³⁰- علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1426هـ-2005م، ص276.
- ³¹- سورة طه، الآية 05.
- ³²- شرح التبيان، ص323.
- ³³- علم المعاني-البيان-البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص545.
- ³⁴- سورة الذاريات، الآية 47.
- ³⁵- شرح التبيان، ص324.
- ³⁶- كتاب البديع، أبو العباس عبد الله بن المعتز، شرحه وحققه عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م، ص77-78.
- ³⁷- شرح التبيان، ص347-348.

- ³⁸- ديوان النابغة الذبياني، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط 1976، ص 47.
- ³⁹- علم المعاني-البيان-البديع، ص 583.
- ⁴⁰- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، 11/119.
- ⁴¹- ينظر شرح التبيان، ص 348-349.
- ⁴²- وهو ما لم يُذكر فيه المستثنى منه، ولا يقع هذا النوع من الاستثناء إلا في سياق نفي؛ وذلك نحو قوله تعالى في سورة آل عمران، الآية 144: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ"، ينظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 2/253.
- ⁴³- سورة الأعراف، الآية 126.
- ⁴⁴- شرح التبيان، ص 349.
- ⁴⁵- ينظر المصدر نفسه، ص 350.
- ⁴⁶- المصدر نفسه، ص 351.
- ⁴⁷- الجامع في علوم البلاغة، ص 198.
- ⁴⁸- شرح التبيان، ص 359.
- ⁴⁹- سورة الروم، الآية 55.
- ⁵⁰- ينظر علوم البلاغة، ص 297.
- ⁵¹- شرح التبيان، ص 360.
- ⁵²- ينظر المصدر نفسه، ص 361.
- ⁵³- ينظر المصدر السابق، ص 366-369.
- ⁵⁴- المصدر نفسه، ص 373.
- ⁵⁵- جواهر البلاغة، سيد أحمد الهاشمي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1421هـ-2000م، ص 351.
- ⁵⁶- سورة نوح، الآية 13.
- ⁵⁷- شرح التبيان، ص 374.
- ⁵⁸- فنون البلاغة العربية، ص 318.
- ⁵⁹- ينظر شرح التبيان، ص 314-375.
- ⁶⁰- جواهر البلاغة، ص 351.
- ⁶¹- شرح التبيان، ص 375.
- ⁶²- سورة الغاشية، الآيتان 13-14.
- ⁶³- سورة المرسلات، الآيتان 1-2.
- ⁶⁴- سورة الواقعة، الآيتان 28-29.
- ⁶⁵- سورة النجم، الآيتان 1-2.
- ⁶⁶- ينظر شرح التبيان، ص 376-378.
- ⁶⁷- تطرق الشيخ المغيلي إلى عدة قضايا متعلقة بهذا الجانب منها: الموازنة، القلب، التشريع، لزم ما لا يلزم، الابتداء، التخلص، حسن الانتهاء، رد العجز على الصدر.